

الموهبة واحدة لا تتغير سواء خلف القضبان أم خارجها

بعد انتعاش الحريات.. يساريو تونس وإسلاميوها يتنافسون في منشورات أدب السجون



ليس كل من ذاق السجن أدبيا بالضرورة (لوحة للفنان عمر نصيرات)

ولعله من الجدير أن نذكر بأن الكتابة الأدبية والفنون الموسيقية، شأن إبداعي وإنساني يحتفي بالخيال ولا يعترف بالواقع إلا من حيث كونه ملهما للخيال، لكن أدب السجون، يجد لنفسه الرواج في العالم العربي ويأخذ تصنيفا مغايرا لكونه شائنا شخصيا ولا ينبغي له التورط في الخيال والمبالغة.

أغنيات تبكي الغربة والوحشة وتحن إلى الأم والحبيبة والأصدقاء. وكان من أشهر هؤلاء المطرب الشعبي صالح الفرزيط، والذي جابيل وعاش معظم المساجين السياسيين فتعلم منهم وتعلموا منه، واشتهر بأغنيته المؤثرة "أرضي علينا يا الأئمة رانا مضامين".

من مستشاري بورقيبة أنهم بذلك سوف يعدلون الكفة نحو التوازن السياسي والاجتماعي. وهناك فئة ثانية من رواد أدب وفن السجون في تونس، لم تلق حظها من العناية والاهتمام في الإعلام الرسمي، وهي ما يعرف بـ"فن الزندالي" نسبة إلى إسمي أقدم وأكبر السجون في العاصمة التونسية.

وكانت السلطات التونسية قد اعتقلت نقاش في سبتمبر 1968 وحكمت عليه بـ14 سنة سجنا لنشاطاته السياسية مع حركة "أفاق" اليسارية المعارضة، وتعرض لثلاثين أنواع التعذيب، إلى أن أفرج عنه بعد 10 سنوات، وبقي بعدها تحت الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية، وذلك في أشجع أنواع الظلم الذي سلطه نظام بورقيبة على مناضلي اليسار الذين تشتت شملهم، مما سمح بعدها للتيارات الإسلامية بالبروز والنشاط العلني، فلما

في العشرية الأخيرة بعد الثورة التونسية صدرت الكثير من الكتب الأدبية التي كانت ممنوعة في السابق لأسباب سياسية، فوجدنا روايات ومذكرات وحتى رسائل ويوميات ومقاربات فكرية، كتبها مناضلون من داخل أسوار السجون التونسية. لكن اللافت أن القيمة الفنية لهذه الكتابات تتفاوت، بين الجيد والسطيح البسيط، حيث ليس شرطا أن كل ما كتب داخل السجن من أدب هو أدب حقيقي.

يقلم أنيق وتحرير أدبي فيه دقة وعمق.. الهاشمي الطرودي، يبدع في الوصف وخاصة لغة الحب وإشارة القضايا الكبرى منها رسائل جاءت عن طريق البريد والعديد من الوثائق السرية هربت على ورق لف السجناء، وتتعلق بقضايا اليسار ومشاكل السجن".

ويعلق قابوس على كتاب "عزيزتي حورية" بقوله "تقرأ الكتاب فتجدت بكل بهجة في زنزانة دون أن يكون لك إحساس بالحبس.. عبقرية أخرى يفتتها الهاشمي الطرودي، الذي لا يساوم في اللغة والأسلوب".

توالت المؤلفات الأدبية وكتب السير الذاتية التي تتحدث عن الحياة السجنية في تونس، أثناء حكمي بورقيبة وبن علي، خصوصا بعد ثورة 14 يناير. وروحت هذه المؤلفات بين الغث والسمين، من حيث أساليب تناول اللغة الأدبية والأمرجة السياسية، لكن معظمها جاء ملتصقا بالواقع وبعيدا عن المعنى التخيلي، ذلك أنها استندت إلى تجارب شخصية معاشة، وكُتبت بالكثير من الصدق والبوح، والنزوع نحو التوثيق بعيدا عن المبالغات واستدراج العواطف التي عادة ما تطفئ على مثل هذه الكتابات.

ومن هذه الكتابات التي لفتت انتباه النقاد، وانقسمت آراؤهم بين مناصر إلى حد التعاطف، ومتحفظ متشدد في المعايير الفنية إلى درجة القسوة، نذكر "حراقة" و"غصة" لبشير الخلفي و"مضاي: صراع الذاكرة والجدار" لمراد العوني العبيدي، وفيها يفضح الكاتب عن ذلك بقوله "هدية لمن عاشوا السجن وهدية لمعرفة الحقيقة". ويقول واصفا هذه الجدران "شاهقة تلك الجدران، تحجب حتى الشمس، بالكاد تزور أجسادنا وتمر رويدا وتتمهل كأنها تزورنا وتمسح عنا بؤس البرودة وندى الجدران المشبعة بكل الأهات وبكل الرسائل المكتوبة والمقروءة، الجدار صامت".



صدر أخيرا في تونس كتاب "عزيزتي حورية"، وهو عبارة عن رسائل كتبها الإعلامي والمناضل السياسي التونسي الهاشمي الطرودي (1944 - 2015) لزوجه عندما كان في السجن، إبان حكم الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة، والذي ضيق الخناق على جماعة "أفاق" اليسارية في أواخر ستينات وبدايات سبعينات القرن الماضي.

كثيرة هي المؤلفات الأدبية وكتب السير الذاتية التي تتحدث عن الحياة السجنية في تونس، لكن ليست كلها بالجودة المطلوبة

تزامن هذا الإصدار مع رحيل رفيق الطرودي، في نفس الحركة، الكاتب والمفكر التونسي جيلبير نقاش، يوم 26 ديسمبر، مما جعل الإعلام المحلي يسلط الضوء مجددا على ما يعرف بـ"أدب السجون"، خصوصا وأن نقاش، قد سبق له أن أصدر كتابه الشهير "كريستال" الذي هو عبارة عن يوميات خطها المناضل التونسي اليهودي في سجنه على أوراق على السجناء ذات العلامة المعروفة في تونس، والتي تعني فيما تعنيه، مجازا: الشفافية والصلابة. كما تزامن الكتاب مع إصدار كتاب آخر للمناضل والمفكر التونسي محمد الكيلاني بعنوان "التاريخ المنسي: مذكرات مناضل وطني".

جاء كتاب "عزيزتي حورية" بعد كتاب "عزيزتي حورية" لرفيقة نزيل سجون بورقيبة، عمار العربي الرزمي، في نفس الفترة، والذي سبق له أن ألف "ذاكرة تايبي المصاردة" في إصرار من هؤلاء الكتاب على تدوين وتوثيق يومياتهم في السجون ضمن ما أفرجت عنه الرقابة في سنوات الجبر، إبان المحنة التي حلت بـ"تجمع الزاسات والعمل الاشتراكي التونسي" المعروف اختصارا بحركة "أفاق".

قدم عبدالكريم قابوس، الناقد والمؤرخ التونسي الذي واكب ورافق الهاشمي الطرودي، في جميع نشاطاته الكتاب بقوله "رسائل ليست ككل الرسائل

الفنان السوري عيسى فياض يحاول حماية التراث العربي من خلال الموسيقى

نال فياض عدداً من الشهادات التقدير والاستحقاق من العديد من الهيئات والمؤسسات الرسمية والخاصة الفنية في سورية وخارجها.

عيسى فياض فنان شغف بالتراث العربي وقدم تجارب جديدة اعتمدت الدمج بين الموسيقى والشخصيات الأدبية

ويؤكد فياض في ختام حديثه أن جذوة الإبداع في سوريا لا تزال حية وشعبها مطعاً ولديه إرادة قادرة على استعادة بلاندا لدورها الريادي في جميع مجالات الفنون، مشيراً إلى متابعته عبر الإنترنت لجميع النشاطات الفنية التي تقام في وطنه الأم وتظهر مستوى الكوادر السورية الخريجة من كلية التربية الموسيقية بجامعة البعث وأثرها الكبير في انتعاش الإنجاز الفني وبصمتها محليا وعالميا.

يقدم الفنان في ألمانيا، لكن الحنين إلى الوطن مازال يسكنه وعبر عن ذلك بمشاركته بأنشطة عديدة في ألمانيا وإسبانيا وفرنسا حمل عبرها هوية سوريا الموسيقية فانضم بعوده وموسيقاه إلى أوركسترا سوبرف في مدينة ماغديبورغ الألمانية في ظاهرة نادرة، تماهى عبرها حنين العود مع الآلات الغربية، كما انتسب سنة 2015 لفرقة مسرح أوتونين ونجح معها بإدخال الموسيقى العربية في المسرح الألماني.

تجربة فياض الفنية في الغرب تكرست أيضاً بإطلاقه سنة 2016 فرقة عربية باسم "عود الموسيقية" شاركت في مهرجانات ألمانية عدة، ولحن من خلالها ترنيمة باللغة الألمانية صارت تنتشد في مهرجان مدينة ماغديبورغ السنوي. ومن إنجازات فياض في المغرب أيضاً مساهمته مع مجموعة من الفنانين الإسبان بمشروع موسيقي تضمن فيلما توثيقياً عن الموسيقى في سوريا حمل عنوان "هواء الصحراء" كما شكل فرقة سورية إسبانية باسم "فرقة أورنتوس"، وعلى صعيد التكريم والشهادات

في اليونان عام 1985 وغيرها، ما منحها الفرصة للترويج للموسيقى الشرقية المنفتحة على العالم في أوروبا. ورغبة فياض في سير أغوار الموسيقى جعلته يسافر إلى الشرق، ليطلع هناك على الآلات وأسلوب العزف عليها وأنماط الموسيقى والغناء لإغناء تجربته، وخاصة بما استفاد منه من الموسيقى الفارسية.



فنان حمل روح الشرق إلى الغرب

حسني، محمد القصبجي، زكريا أحمد، رياض السنباطي، محمد عبد الوهاب، بروج مختلفة مجددة تسعى إلى فتح مساحات جديدة أمام موسيقى الشرق في بعدها الكوني، متجاوزة حدود الأداء الفردي، إلى نوع من الأداء المتكامل.

كما شاركت الفرقة بانشطة دولية منها مهرجان السنة الموسيقية الأوروبية الفني لم يتوقف. فقدم منذ عام 1973 حفلات عدة مع المعهد العربي للموسيقى ومع فرقة أجراس حلب بإشراف الفنان الراحل نديم الدرويش تضمنت تلحين وإخراج أوبريات غنائية. في منتصف العام 1979 عاد إلى حمص بعد أن نال شهادة إجازة في الهندسة المدنية من جامعة حلب، ليبدأ مرحلة فنية هامة، حيث سعى مع مجموعة من أصدقائه إلى تأسيس فرقة موسيقية غنائية تعمل على إحياء التراث الموسيقي العربي الأصيل وتوثيقه وتقديمه ضمن إطار جماعي، واطلقوا على الفرقة اسم "فرقة حمص لإحياء التراث"، حيث سعوا إلى الحفاظ على الهوية الثقافية والأصالة الموسيقية العربية، نظراً إلى جو التغريب الذي كان سائداً آن ذاك. وقاد فياض الفرقة على مدى أعوام، وقدم من خلالها فناً تراثياً أصيلاً لعائلة الموسيقى السوريين والعرب أمثال عبدالغني الشيخ وكمال شمسبير وعمر البطش وبهجت حسان وأمين الجندي ومحمد خالد الشلبي ونجيب زين الدين. وقدمت الفرقة كذلك الحاناً لأهم الموسيقيين المشاركين من بينهم داوود

دمشق - مسيرة فنية امتدت قرابة نصف قرن داخل وطنه وخارجه خطها الموسيقي السوري عيسى فياض، كان التراث هو الحاضر الأبرز فيها، ليحقق من خلالها الفنان العديد من الإنجازات ويقدم فيها الهوية السورية وملامح الثقافة العربية ضمن الكثير من المحافل الفنية الغربية من ألمانيا إلى إسبانيا ومختلف أنحاء أوروبا.

فياض الذي شغف بالتراث العربي السوري قدم تجارب جديدة اعتمدت الدمج بين الموسيقى والشخصيات الأدبية ضمن توليفة سماها "مغناة"، فمشروعه الفني يتجاوز عمل "المطرب"، حيث يخلق حالة فنية تكاملية تتسع لشتى أنماط الأداء الفردي والجماعي والتعبيري والدرامي.

ويتحدث فياض عن بداياته في عالم الموسيقى، حيث سار فيه خطواته الأولى وهو بعمر تسع سنوات، من المسرح المدرسي حتى حصل في سنة 1972 على ميدالية الفارابي للغناء الإفرادي من وزارة التربية. ويشير إلى أنه رغم دراسته لفرع علمي هو كلية الهندسة المدنية فإن شغفه